(1918) واستمر بمجمع دمشق هذا النشاط ستة عشر عاما ثم ظهر مجمع فؤاد الى الوجود وبدا عمله سنة (1934) واصدر مجلة باسم (مجلة مجمع اللغة العربية) بعد تغيير اسم المجمع الى هذا الاسم. وتضم المجلة بين طياتها البحوث والمحاضرات التى يلقيها الاعضاء العاملون بالاضافة الى المصطلحات الجديدة التى يقرها المجمع فى كل دورة يعقدها ، وقد ادرجنا القرارات التى أقرها المجمع فى هذا الشأن ثم نبذة مختصرة عن البحوث التى تقدم بها الاعضاء العاملون فى المجمع عن القياس وموقفهم منه ، وانهينا البحث بخاتمة تنطوى على نتائج .

والحقيقة ان هذه لم تكن اول محاولة ولا ثانيتها ندعيها لانفسنا وانما هى صوت يرتفع الى جانب تلك الاصوات التى نادت بضرورة تطوير لغة القرآن لتساير التطور الاجتماعى والحضارى وما يتطلبه من تجديد فى اللغة وهذا ما اعتقده مسايرا لمنهج المكتب الدائم لتنسيق التعريب وما توفيقى الا بالله ومنه استمد العون .

شاكر طوقان

10 ايلول سبتمبر 1972

(لمحة تاريخية عن القياس)

تمهيد للبحث :

بدا العلماء يجمعون اللغة من افواه العرب سواء فى الفاظها او اساليبها ، وقد بذلوا فى ذلك جهدا مشكورا ، وتحملوا فى ذلك من العذاب مالا يستطيعه الا ذوو الهمم العالية ، وفضلوا أن يأخذوا عن العرب العرباء الذين لم تفسدهم الحضارة ولا الاختلاط وعدوا هذه القبائل اصح من تؤخذ عنهم اللغة هم قيس وتميم واسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يأخذوا عن غيرهم من سائر قبائلهم كما لم يأخذوا عن حضرى ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم :

وكان هذا الجمع هو المادة الخام للغويين والنحويين ، فأما النحويون والصرفيون فقد برعوا فى القياس الى اقصى حد ، فكل علمهم قياس . نظروا الى الاعم الاغلب فجعلوه قاعدة وجعلوا ما جاء على خلافها شاذا لا يصح لنا الاتيان بمثله ، فالعرب لم تلتزم مثلا نصب اسم ان ولا رفع خبرها ولا عطف المرفوع على المرفوع والمنصوب على المنصوب وهكذا ، بل ورد فى القرآن رفع اسم ان فى قوله تعالى : « ان هذان لساحران » (7) . وجاء فيه : « والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » (8) . وقوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى » (9) . فقعدوا قواعدهم على الكثير الغالب . وكذلك الصرفيون فى قواعد الاعلال والابدال واشتقاق صيغ اسم الفاعل والمفعول والزمان والمكان . .

فضبطوا بذلك اللغة فى اختصاصهم ، وكل هذا عن طريق القياس ، أما اللغويون فسادت عليهم المحافظة وقلت فيهم الحرية ، وليس الاختلاف فى ان اللغة توقيفية أو غير توقيفية الا مظهرا من مظاهر المحافظة والحرية ، فمن قال بأنها توقيفية او بعبارة اخرى من وضع الله اصبغ عليها حلة من التقديس والتزمها من غير تصرف بها . ومن قال أنها غير توقيفية أو بعبارة اخرى من وضع البشر كان اكثر حرية فى التصرف فيها .

فاللغويون كثيرا وقفوا عند ما ورد وكانوا محافظين ، ومن هؤلاء جامعوا اللغة كالاصمعى وابن الاعرابى وابى زيد ، فلم يكونوا يستبيحون لانفسهم ان يقولوا كلمة او يشتقوا اشتقاقا الا عن سماع . ومن هؤلاء ايضا اصحاب المعاجم كالجوهرى والفيروزابادى وابن منظور ، فلم يقيسوا على ما رووا ، وان اختلف بعضهم عن بعض فى زيادة الكمية المروية أو نقصها ، وكثرة الاستشهاد وقلته ، وذكر اسماء البلاد والاعلام او عدمه ونحو ذلك .

وبجانب ذلك قلة من القياسيين او بعبارة اخرى مدرسة القياس وهم اصحاب مذهب (ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، الا ترى انك لم تسمع

---

(7) سورة طه 20 — 63 .
(8) سورة النساء 4 — 162 .
(9) سورة الحج 22 — 17 .

انت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وانما سمعت بعضها فقست عليه غيره) (10) واليهم يرجع الفضل فى حياة اللغة · الحياة النشيطة حتى ايامنا هذه ، فقد حافظوا على روحها وتعهدوها بالغذاء فنمت وبسقت واظلت فروعها حضارات مختلفة · ومع انتسابهم جميعا الى مذهب القياس يتفاوتون فيما بينهم فيه توسيعا وتضييقا ·

لم يكن أرباب القياس على بدع من الامر ، فأصحاب اللغة انفسهم اتسعوا فى طردها وتصريفها واشتقاقها بما سبقوا به ارباب القياس انفسهم (فان الاعرابى اذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه اليه احد قبله) (11) ·

هذا رؤبه وابوه العجاج الراجزان المشهوران (انهما قاسا اللغة وتصرفا فيها واقدما على ما لم يات به من قبلهما) (12) وحكى انهما كانا يرتجلان الفاظا لم يسمعاها ولا سبقا اليها ، ومن يتصفح شعر الراجزين يجد مصداق هذا القول ·

فالنزعة الى تعميم القياس قديمة من ايام الخليل، وكانت الى جانبها نزعة محافظة معتدلة يمثلها ابن قتيبة ، فقد ذهب فى مقدمة كتابه (الشعر والشعراء) الى انه ليس لمتاخر الشعراء (ان يقيس على اشتقاقهم فيطلق ما لم يطلقوا) واستشهد لذلك برأى الخليل ، فقد ذكر أن الخليل بن احمد اتاه رجل فانشده :

(ترافع العز بنا فارفنعما)

فقال الخليل : (ليس هذا شيئا) فقال الرجل : كيف جاز للعجاج ان يقول :

(تقاعس العز بنا فاتعنسسا)

ولا يجوز لى ؟

ويروى عن بشار انه كان يقيس ما لم يرد على ما ورد ، فرأى العرب صاغت (فعلى) من الفعل للدلالة على السرعة فقالوا :

جمزى لسرعة السير فقاس عليها فقال :

والآن اقصر عن سمية باطلى
واشار بالوجلى على مشير

وقال :

على الغزلى منى السلام فربما
لهوت بها فى ظل مخضلة زهر

فعابوه وقالوا : (لم يسمع من العرب وجلى ولا غزلى) (13) ·

وقع هذا وامثاله فى المئة الثانية للهجرة ، فاصبح من الطبيعى نشوء اخذ ورد حول القياس بين المجيزين والمانعين او بين المجددين والمحافظين ، وان ينتهى هذا الجدل بنشوء مدرسة القياس ، لها رسومها ونظمها ، حاولت فرض سيطرتها حتى على اصحاب اللغة فخطوا بعض الشعراء الجاهليين والاسلاميين وحكموا على ابيات بالشذوذ لعدم انطباقها على قواعدهم ·

وكان من اعلام هذه المدرسة الخليل وتلميذه سيبويه وابو على الفارسى وتلميذه ابن جنى · وقد عاصرت هذه المدرسة مدرسة اخرى فى الفقه تشابهها ، هى مدرسة الراى ، ولا غرابة فى ذلك فالقوم حينئذ كانوا مدفوعين بحكم الضرورة الى تاسيس بنيانهم الفكرى تلبية لحاجات الحضارة اذ ذاك ·

(من قياس الخليل وتلميذه سيبويه)

لم يكن الخليل اول القياسيين فى اللغة ، بل سبقه من شيوخه من ضرب فى القياس بسهم ، ولكن الخليل كان فيهم كما قال ابن جنى : (سيد قومه وكاشف قناع القياس فى علمه) (14) ويعتبر انه واضع اساس

---

(10) الخصائص ، ابن جنى ج 1 ص 357 ، كلمة المازنى وابى على الفارسى ·
(11) المصدر السابق ج 2 ص 25 ·
(12) الاقتراح ــ السيوطى ص 53 ·
(13) فى اصول النحو ــ سعيد الافغانى ص 82 ·
(14) الخصائص ــ ابن جنى ج 1 ص 361 ·

المعاجم وله اول معجم الف فى العربية وانه مبتكر العروض لقياس الشعر ، وعلى هذا الاساس لم تستكثر ان يكون لهذا الذهن تلك المرانة المولدة فى اللغة والنحو بحيث يرجع اليه الفضل فى اظهار معالم القياس ووضع رسومه ومناهجه .

ونجد فى كتاب سيبويه وهو من املاء استاذه الخليل انماطا كثيرة من قياسه مبعثرة فى ابواب شتى . وهذه انماط من صنيعه : نسبت العرب الى تهامة فقالت : تهامى على القياس وتهام على غير القياس كما قالت : « شآمى » و « شآم » . وجعلوا الف تهام بدلا من احدى ياءى النسب ، قال ابن جنى : (فان قلت ان فى تهامة الفا فلم ذهبت الى ان الالف فى تهام عوض من احدى الياءين ؟) فقد (قال الخليل فى هذا : انهم كأنهم نسبوه الى (فعل او فعل) وكأنهم فكوا صيغة تهامة فأصاروها الى (تهم او تهم) ثم اضافوا (اى نسبوا) فقالوا : تهام . وانما ميل الخليل بين (فعل او فعل) ولم يقطع بأحدهما لانه قد جاء هذا العمل فى هذين المثالين جميعا وهو (الشآم واليمن). وهذا الترجيم الذى اشرف عليه الخليل ظنا قد جاء به السماع نصا :

انشدنا ابو على قال : انشدنا احمد بن يحيى « ثعلب » :

ارقنى الليلة برق بالتهم
يا لك برقا من يشمه لا ينم

فانظر الى قوة تصور الخليل الى ان هجم به الظن على اليقين ، فهو المعنى بقوله :

(الالمعى الذى يظن بك الظـ
ـن كأن قد راى وقد سمعا) (15)

استمر القياس على الطريق ، ذهب فيه الخليل وسيبويه حتى كانت المئة الرابعة للهجرة ، فبلغ ذروة مجده بأبى على الفارسى وتلميذه ابن جنى ، ونهض به هذان الامامان نهضة لم يخط احد بمثلها قبلهما ولا بعدهما حتى اليوم .

(من قياس الفارسى)

اما ابو على الفارسى فهو فارسى الاب عربى الام . مات ببغداد سنة 377 هـ فى ايام الطائع لله عن نيف وتسعين سنة . طوف كثيرا فى بلاد الشام ، واقام بحلب مدة وخدم سيف الدولة ابن حمدان ثم رجع الى بغداد وخدم عضد الدولة وبقى بها الى ان مات وقد كان معاصرا لابى سعيد السيرافى وكان ابو سعيد هذا اكثر من الفارسى رواية وكان الفارسى اكثر منه قياسا حتى لقد قال ابو على الفارسى : (لان اخطىء فى خمسين مسألة مما بابه الرواية احب الى من ان اخطىء فى مسألة واحدة قياسية) وقد قال فيه بعض تلاميذه : (احسب ان ابا على قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع اصحابنا) (16) . وما العلل الا مقدمة القياس .

وكان يقول : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب فاذا اعربت لفظة اعجمية اجريت عليها احكام الاعراب وعددتها من كلام العرب واجيز الاشتقاق منها كما عرب العرب لفظة الدرهم واشتقوا منه درهمت الخبازى اى صارت كالدراهم وقالوا : رجل مدرهم اى كثرت دراهمه (17) .

وكان تلميذه ابن جنى يقرأ عليه كتابا للمازنى ، فلما جاء ذكر قول ابى عثمان فى الالحاق المطرد : (ان موضعه من جهة اللام نحو قعدد ومدد وشملل وصعرر . وجعل الالحاق بغير اللام شاذا لا يقاس عليه مثل : جوهر وبيطر وجدول .. الخ . قال ابو على : (لو شاء شاعر او ساجع او متسع ان يبنى بالحاق اللام اسما او فعلا او صفة لجاز له ولكان ذلك من كلام العرب . وذلك نحو قولك : خرجج اكرم من ذخلك ، وضربب زيد عمروا ، ومررت برجل ضربب وكرمم ونحو ذلك . فاعترضه تلميذه ابن جنى قائلا : افترتجل اللغة ارتجالا ؟ قال : ليس بارتجال لكنه مقيس على كلامهم فهو اذن من كلامهم ثم قال : الا ترى انك تقول : طاب الخشكنان . فتجعله من كلام العرب وان لم تكن العرب تكلمت به هكذا . قال فرفعك اياه

(15) الخصائص — ابن جنى ج 2 ص 111 .
(16) الخصائص — ابن جنى : ج 1 ص 208 و ج 2 ص 88 .
(17) نفس المصدر ج 1 ص 357 .

كرفعها ما صار لذلك محولا على كلامها ومنسوبا الى لغتها) (18) ·

وقد كان أبو على الفارسى جريئا الى حد لم نصل اليه الى اليوم فكان من رايه أن الالف اللينة فى الكلمة الثلاثية تكتب الفا مطلقا سواءا اكان أصلها واوا أم ياءا وقد علل ذلك بحمل الخط على اللفظ ·

من هذا يتضح ان مدرسة القياس حظيت من ثمرات تفكيره بفيض غزير · وحقا ما قال به ابن جنى فيه (ولله هو ! وعليه رحمته فما كان اقوى قياسه واشد بهذا العلم اللطيف الشريف انسه فكأنه انما كان مخلوقا له · وكيف لا يكون كذلك وقد اقام على هذه الطريقة مع جلة اصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة ، زائحة علله ، ساقطة عنه كلفه ، وجعله همه وسدمه ، لا يعتاقه عنه ولد ولا يعارضه فى منحر ولا يسوم به مطلبا ولا يخدم به رئيسا الا بآخرة وقد حط من اثقاله والقى عصا ترحاله) (19) ·

(من قياس ابن جنى)

أما اذا وصلنا الى ابن جنى فقد تبوانا ذروة القياس وفلسفته ولقد كان أعلى علماء العربية كعبا فى جميع عصورها وأغوصهم عامة على اسرار العربية وانجحهم فى الاهتداء الى النظريات العامة فيها · وكتابه الخصائص نحا فيه منحى جديدا طريفا يدل على تذوقه للغة وتعمقه فى فهم أسرارها ومحاولة فلسفتها ·

ويعتبر ابن جنى مبتدع نظرية الاشتقاق الكبير ومؤسس علم فقه اللغة ، أما التصريف فهو امامه دون منازع ، وقلما تقرأ كتابا فيه ولا يكون ابن جنى مرجع كثير من مسائله · وكتابه « سر الصناعة » من خير ما حفظ الزمان من هذا التراث ·

ولد بالموصل من اب رومى وتوفى ببغداد سنة 392 هـ فى خلافة القادر · صحب أستاذه الفارسى أربعين سنة وعاش مدة طويلة ببلاط سيف الدولة بحلب حيث أملى المسائل الحلبية ، ونشأت هناك بينه وبين المتنبى صداقة أساسها اعجاب كل منهما بمواهب الآخر ، وكان من نتائج ذلك ان شرح ديوان المتنبى ودافع عنه هجمات النقاد ، وكان المتنبى يقول فيه : (هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس) ويقول : (ابن جنى أعرف بشعرى منى) (20) ·

ونحن نتعرف الى منهجه فى القياس من كتابه (الخصائص) الذى يدور على الغوص على اسرار اللغة الشاملة ويطرد القياس ما استطاع الى ذلك سبيلا ثم ان اثر الفارسى فى تلميذه بارز فى هذا الكتاب وان هذا التلميذ الذى لقن هذا المذهب عن أستاذه قد مضى به بعيدا وتقدم الى الامام مسافات شاسعة وكان الحافز له على تاليفه هو انه راى الفقهاء وضعوا للفقه اصولا والمتكلمين وضعوا للعقائداصولا فأراد ان يضع للغة والنحو كذلك اصولا ، فكان بذلك واضع علم جديد يقول فيه : (انه من اشرف ما صنف فيه من علم العرب واذهبه فى طريق القياس والنظر واجمعه للادلة على ما اودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الاتقان والصنعة) ·

وابن جنى كثير الانس بالتجربة اللغوية ، يقلبها على وجوهها المختلفة ويكثر التفكير فيها ثم يقابل بين اللغات التى يعرفها ليكون حكمه الشامل فى اللغة العربية حين يرده الى طبيعة الحس صحيحا الى حد بعيد ، والظاهر انه يعرف الفارسية ، فقد عرض لها فى حديثه عن اجتماع الساكنين فقال : (ومن طريف حديث اجتماع السواكن شىء وان كان فى لغة العجم فان طريق الحس موضع تتلاقى عليه طبائع البشر ويتحاكم اليه الاسود والاحمر · وذلك قولهم (ارد) للدقيق و (ماست) للبن فيجمعون بين ثلاثة سواكن الا أننى لم ار ذلك الا فيما كان ساكنه الاول الفا وذلك أن الالف لما قاربت بضعفها وخفائها الحركة صارت (ماست) كأنها (مست) (21) ·

---

(18) الخصائص — ابن جنى ج 1 ص 358 ·
(19) الخصائص ج 1 ص 276 ·
(20) معجم الادباء — ياقوت ج 12 ص 89 ·
(21) الخصائص — ج 1 ص 90 ·

وقد حذا حذو استاذه الفارسي في تعميم القياس وتوسيع طرق الاشتقاق ، وكان يقول : (مسألة واحدة من القياس انبل وانبه من كتاب لغة عند عيون الناس) (22) ·

ومن اقيسته عند ما تعرض للابدال وذكر لغات (فسطاط ، فستاط ، فساط) وان الجمع فيها (فساطيط ، وفساسيط) فقط وذهابهم الى ان التاء في فستاط بدل من السين او الطاء ورجحها بدل السين بقوله : (اذا حكمت بانها بدل من سين (فساط) ففيه شيئان جيدان : احدهما تغيير ثاني المثلين وهو اقيس من تغيير الاول من المثلين لان الاستكراه في الثاني يكون لا في الاول والآخر ان السينين في (فساط) ملتقيتان والطاءين من (فسطاط) منفصلتان بألف بينهما واستثقال المثلين ملتقيين احرى من استثقالهما متفرقين فعلى هذا الاعتبار ينبغي ان يلقى ما يرد من حديث الابدال) (23) ·

وقد اراد ان يشرح كتاب يعقوب بن السكيت في (القلب والابدال) على هذا النمط المنهجي لان معرفة (هذه الحال فيه امثل من معرفة عشرة امثال لغته) (24) · كما قال :

وابن جني لم يتخذ القياس مذهبا لنفسه فحسب بل كان يغري به ويدعو اليه ويحض عليه ويبيح فيه الارتجال فيقول : (- للانسان ان يرتجل من المذاهب ما يدعو اليه القياس ما لم يلو بنص او ينتهك حرمة شرع) (25) حتى اذا اراك القياس الى ما لم تنطق به العرب قط ، فليس لك ان ترمي به بل تعده (لشاعر مولد او لساجع او لضرورة ، لانه قياس على كلامهم) (26) ·

وهذه الكلمة تدل دلالة واضحة على مدى اهتمام ابن جني بالقياس وقبل ان نختم الكلام عن ابن جني لا بد ان نقول كلمة عن الاشتقاق وهو من منجزات القياس وهو باب عظيم من ابواب فقه اللغة ابتدعه ابن جني وكان له فضل كبير فيما سمي بالاشتقاق الكبير وهو الذي سماه بهذا الاسم ، وكان قد تنبه اليه استاذه ابو علي الفارسي · قال ابن جني : (ان ابا علي رحمه الله كان يستحسن به ويخلد اليه ، لكنه مع ذلك لم يسمه ، وانما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح اليه) · فجاء ابن جني فوسعه ونماه وسماه وسمى الاشتقاق المعروف في ايدي الناس بالاشتقاق الصغير كأن يشتق من كتب : يكتب واكتب وكاتب ومكتوب ومكتب وكتاب .. الخ · اما الاشتقاق الكبير فيعنون به حصر اصول الكلمة وتقليبها على وجوهها المختلفة وان تستخرج منها التباديل والتوافيق وتقرن بينها ، كأن تأخذ كلمة « كلم » وتحولها الى : ك م ل م ك ل ، م ل ك ، ل ك م ، ل م ك وتمعن النظر فيها لتنظر هل هذه الحروف اذا اجتمعت كلها على نحو ما دلت على شيء واحد يتنوع بتنوع تركيب هذه الحروف : فتستخرج مثلا ان هذه الحروف الثلاثة اذا اجتمعت دلت على القوة وتستخرج معنى القوة من كل ما دلت عليه في اشكالها المختلفة ، وهذا باب عظيم من ابواب اصول اللغة تفوق فيه ابن جني ·

هذا ، واذا تصفحنا كتابا من كتب الطبقات في النحو واللغة ومررنا بمئات من تراجم النحويين واللغويين ، استطعنا بعد امعان قليل ان نلم بما كان للقياس من خطر عند القوم حتى ليتفرد واحد في المئة فيعرف به ، فاذا ترجموا له نصوا على امتيازه هذا ، وتلك ملكة لم تتوفر كاملة الا لاعلام قليلين جدا ·

(الفصل الاول)

أ ــ تعريف القياس لغة واصطلاحا :

1 ــ المعنى اللغوي :

(قيس) قاس الشيء يقيسه قيسا وقياسا واقتاسه وقيسه اذا قدره على مثاله ·

---

(22) الخصائص ــ ج 1 ص 88 ·
(23) نفس المصدر ــ ج 2 ص 87 ــ 88 ·
(24) نفس المصدر ــ ج 1 ص 88 ·
(25) نفس المصدر ج 1 ص 189 ·
(26) نفس المصدر ــ ج 1 ص 126 ·

فهن بالايدى مقيساته
مقدرات ومخيطاته (27)

2 ــ المعنى الاصطلاحى :

اما فى الاصطلاح فلم نجد من عرف القياس اللغوى تعريفا كاملا لان الذين بحثوا فى هذا الموضوع خلطوا بين تعريف القياس اللغوى وتعريف القياس النحوى ومن هذا الخلط فى التعاريف فضلنا تعريف ابن الانبارى بعد أن حذفنا منه بعض الالفاظ التى تجعل منه حدا للقياس النحوى الذى ذكره فى جدله وهو : (حمل غير المنقول على المنقول اذا كان فى معناه) (28) ·

وقد اختار هذا التعريف من المحدثين الاستاذ احمد الاسكندرى فقد عرف القياس اللغوى بأنه (حمل كلمة على نظيرها فى حكم) (29) واختاره من المحدثين ايضا الدكتور ابراهيم انيس (30) واليه ذهب الدكتور مهدى المخزومى فبعد ان ثمن حملة على الذين تمسكوا بالاستنتاج العقلى والتعليل والتقدير والتاويل فى اللغة والنحو ذكر أن القياس الذى يجب ان يتبع فى دراسة اللغة والنحو هو القياس القائم على اساس حمل مجهول على معلوم وحمل ما لم يسمع على ما سمع وحمل ما يجد من تعبير على ما اختزنته الذاكرة وحفظته ووعته من تعبيرات واساليب كانت قد عرفت او سمعت ، وذكر ايضا ان هذا القياس هو الطريق الطبيعى لنمو مادة اللغة واتساعها (30) مكرر ·

ب ــ انواع القياس والقياس المراد بحثه :

تجرى كلمة القياس عند البحث فى معانى الالفاظ العربية واحكامها فترد على اربعة وجوه :

احدها : حمل العرب لبعض الكلمات على اخرى واعطاؤها حكمها لوجه يجمع بينهما كما يقال : اعرب الفعل المضارع قياسا على الاسم لمشابهته ه فى احتماله لمعان لا يتبين المراد منها الا بالاعراب · والى هذا اشار الزمخشرى فى بعض مقاماته بقوله (ضارع الابرار بعمل التواب الاواب ، فالفعل لمضارعته الاسم فاز بالاعراب) ·

وكما يقال : دخلت الفاء خبر الموصول فنحو قولهم: (من يأتينى فله درهم) قياسا للموصول على الشرط لمشابهته اياه فى افادة العموم ·

وكما يقال : نصبت لا النافية للجنس الاسم ورفعت الخبر قياسا على ان لمشابهتها اياها فى التوكيد ،فان لا تأتى لتأكيد النفى كما تأتى ان لتوكيد الاثبات ·

والقياس بهذا المعنى واقع من العرب انفسهم ويذكره النحاة تنبيها على علة الحكم الثابت عنهم بالنقل الصحيح (31) ·

وقد تقدم التعقيب على هذا النوع من انواع القياس وانه من عمل النحاة انفسهم ، وليس هذا الضرب من القياس داخلا فى موضوعنا ·

ثانيها : أن تعمد الى اسم وضع لمعنى يشتمل على وصف يدور معه الاسم وجودا وعدما ، فتعدى هذا الاسم الى معنى آخر تحقق فى ذلك الوصف وتجعل هذا المعنى من مدلولات ذلك الاسم لغة ، ومثال هذا اسم الخمر عند من يراه موضوعا للمعتصر من العنب خاصة ، وما وضع للمعتصر من العنب الا لوصف هو مخامرته للعقل وستره ، فاذا وجد عصير من غير العنب يشارك المعتصر من العنب فى الشدة المطربة المخمرة للعقل · فان من يقول بصحة هذا القياس يجعل هذا العصير من افراد الخمر ويسمه خمرا تسمية حقيقية لغوية ·

وهذا الضرب من القياس هو الذى ينظر اليه علماء اصول الفقه عند ما يتعرضون لمسألة (القياس فى الشريعة) ·

---

(27) لسان العرب ــ مادة (قيس) ·
(28) الاقتراح ــ للسيوطى ص 38 ·
(29) مجلة مجمع اللغة العربية ج 4 ص 174 ·
(30) من اسرار اللغة ــ ابراهيم انيس ص 16 ·
(30) (مكرر) فى النحو العربى ، نقد وتوجيه للدكتور مهدى المخزومى ص 20 ·
(31) دراسات فى العربية وتاريخها ص 27 ·

ثالثها : الحاق اللفظ بأمثالـــه فى حكم ثبت لهـــا باستقراء كلام العرب حتى انتظمت منه قاعدة عامـــة كصيغ النسب والتصغير والجمع واصـــل هـــذا أن الكلمات الواردة فى كلام العرب على حالـــة خاصـــة يستنبط منها علماء العربية قاعدة تخول المتكلم الحق فى ان يقيس على تلك الكلمات الواردة ما ينطق بـــه مـــن امثالهـــا ·

وقد اطلقوا على هذا النوع من القياس اسم القياس الاصلى وهو الذى سنتكلم عنـــه كمـــوضوع للبحـــث ·

رابعها : اعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها من الكلم المخالفة لها فى نوعها ، ولكن توجد بينهما مشابهة من بعض الوجوه ، كما أجاز الجمهور ترخيم المركب المزجى قياسا على الاسماء المنتهية بتاء التأنيث ، وكما أجازت طائفةحذفالضمير المجرور العائد من الصلة الىالموصول متى تعين حرف الجر قياسا على حذف الضمير العائد من جملة الخبر الى المبتدا فتقول : (قضيت الليلة التى ولدت فى سرور) اى ولدت فيها لانك تقول : هذا الكتاب الورقة تساوى درهما اى الورقة منه بدرهم ·

وقد اطلق بعض الباحثين على هذا النوع من القياس اسم قياس التمثيل للفرق بينه وبين القيـــاس الاصلـــى ·

(الفصل الثـــانى)

القيـــاس الاصلى وما يقاس عليـــه

ذكر السيوطى فى الاقتراح أن الكلام الذى يوثق بفصاحته يشمل كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم وكلام نبيه (ص) وكلام العرب قبل بعثته وفى زمنه وبعده الى أن فسدت الالسنة بكثرة المولدين نظما ونثرا عن مسلم أو كافر فهذه ثلاثة انواع لا بد فى كل منها من الثبـــوت (32) ·

واللسان العربى يجمع تحت اسمه لغات شتى ولكنها تختلف فيما بينها اختلافا يسيرا ، ووجوه هذا الاختلاف معضلة فى كتب فقه اللغة وآدابها ولا تكاد تخرج عن اختلاف الكلمات ببعض حروفها أو حـــال من أحوالها كالحركة والسكون أو الاعراب والبناء أو الفك والادغام أو التصحيح والتعليل أو الامالة والتفخيم أو ترتيب الحروف أو المد والقصر أو الاتمام والنقص أو الاعمال والاهمال أو التذكير والتأنيث ، وقد يكون الاختلاف فى بعض الالفاظ من حيث وضعها فى لغة المعنى ووضعها لمعنى آخر فى لغة اخرى وهذا ما يطلق عليه بالاشتراك اللفظى او من حيث استعمال لفظ فى لغة المعنى واستعمال لفظ آخر فى لغة غيرها لذلك المعنى وهذا ما اصطلح عليه بالترادف · والترادف والاشتراك ميزتان من مميزات اللغة العربية ·

وقد تختلف هذه اللغات فى بعض وجوه النظم كتقديم عامل « كم » الخبرية عليها فانه يقدم فى لغة ولا يقدم فى اخرى ·

تتفاوت هذه اللغات بالجودة وفصاحة اللهجـــة وجميعها مما يصح القياس عليه ، قال ابن جنى فى الخصائص : (اللغات على اختلافها كلها حجة ، والناطق على قياس لغة مـــن لغـــات العـــرب مصيب غير مخطىء) (33) وقال أبو حيان فى شرح التسهيل : (كل ما كان لغة لقبيلة صح القياس عليه) ·

وبعد هذه المقدمة نأخذ الاصول التى ذكرهـــا السيوطى واحدة بعد الاخرى بشىء من التفصيل ·

أ ـــ القـــرآن الكـــريـــم :

لم يتوفر لنص ما توفر للقرآن الكريم من تواتر رواياته وعناية العلماء بضبطها وتحريرها متنا وسندا وتدوينا ، وضبطها بالمشافهة عن افواه العلماء الاثبات الفصحاء الابيناء من التابعين عن الصحابة عن رسول الله (ص) فهو النص العربى الصحيح المتواتر المجمـــع على تلاوته بالطـــرق التـــى وصل الينا بها فى الاداء والحركات والسكنات ، ولم تعتن أمة بنص كما اعتنـــى المسلمون بنص قرآنهم ·

فالقرآن لا شك هو النص الصحيح المجمع علـــى الاحتجاج به فى اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة ، اما الخلاف فقد وقع فى القراءات ·

---

(32) الاقتـــراح للسيـــوطى ص 14 ·
(33) الخصائص ج 2 ص 10 ·

فالكوفيون يعتبرونها مصدرا هاما من مصادر الدراسات اللغوية ، أما البصريون فقد وقفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية واخضعوها لاصولهم واقيستهم ، فما وافق منها اصولهم ولو بالتاويل قبلوه ، وما أباها رفضوا الاحتجاج به ووصفوه بالشذوذ كما رفضوا الاحتجاج بكثير من الروايات اللغوية وعدوها شاذة تحفظ ولا يقاس عليها.

أما المحدثون فقد ذهب أحد الاساتذة الى أنها غير متواترة ، بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القارىء وبين ما هو منقول بخبر الواحد ، ولذلك فهى ليست بحجة (34) .

وذهب الاستاذ سعيد الافغانى الى أنها متواترة ويجيء القياس عليها بقوله : (وبعد فقراءات القرآن جميعها حجة فى العربية متواترها وآحادها وشاذها . واكبر عيب يوجه الى النحاة عدم استيعابهم اياها واضاعتهم على انفسهم ونحوهم مئات من الشواهد المحتج بها ولو قعلوا لكانت قواعدهم اشد احكاما) (35).

وعلى الرغم من أن القراءات غير متواترة وانها اجتهاد من القراء انفسهم — كما يقول الخوئى فى كتابه البيان — الا أنها يمكن اعتبارها مصدرا من المصادر المهمة للوقوف على وجوه الاختلاف بين اللهجات العربية ، لان القراءات هى المصدر الصحيح الذى حفظ لنا اللغة العربية ممثلة فيها اللهجات لما عرف به القراء فى العصور المختلفة من دقة فى التلقى والتلقين ومن ضبط واتقان فى الرواية .

يؤيد هذا ما لاحظه ابن خالويه من أن كلا من الائمة القراء كان (يذهب فى اعراب ما انفرد به مذهبا من مذاهب العربية لا يدفع قصد من القياس وجها لا يمنع) .

كأنه كان يريد القول بأن اختلاف القراءات ينبنى على ما بين اللهجات العربية التى قرىء بها القرآن من اختلاف ، وكأنه كان يرمى الى أن اللهجات على اختلافها حجة يصح الاستشهاد بها على أصل من اصول العربية والاستناد اليها فى بناء قاعدة من قواعدها) (36) .

ان اللغويين والنحاة انما بنوا قواعدهم على كلام العرب بجمع نتف نثرية وشعرية من هذه القبيلة ومن تلك ، من اعرابى فى الشمال الى امراة فى الجنوب ، ومن شعر لا يعرف قائله الى جملة غير منسوبة .. يجمعون هذا الى اقوال معروفة مشهورة ويضعون قواعد تصدق على اكثر ما وصل اليهم بهذا الناقص الذى لا يستند الى خطة محكمة فى الجمع ، ثم يسددون هذه القواعد بمقاييس منطقية يريدون اطرادها فى الكلام ، حتى اذا اتت بعضهم قراءة صحيحة السند تخالف قاعدته القياسية طعن فيها وان كان قارئها ابلغ واعرب من كثير ممن يحتج النحوى بكلامهم ، فلا استقراؤه كامل او كاف ، ولا لشواهده التى استند اليها بعض ما للقراءة الصحيحة من القوة ، ولا اللغة تخضع للمقاييس المنطقية التى ابتدعها ، وخير ما يصف اضطراب موقفهم هذا قول الرازى : (اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول ، فجواز اثباتها بالقرآن العظيم اولى ، وكثيرا ما ترى النحويين متحيرين فى تقرير الالفاظ الواردة فى القرآن ، فاذا استشهدوا فى تقريرها ببيت مجهول فرحوا به وانا شديد التعجب منهم فانهم اذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلا على صحتها فلان يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحتها كان اولى) (37) وفى هذا المعنى قال ابن حزم فى الفصل : (من النحاة من ينتزع من المقدار الذى يقف عليه من كلام العرب حكما لفظيا ويتخذه مذهبا . ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم فياخذ فى صرف الآية عن وجهها) .

وقال فى موضع آخر : (ولا عجب اعجب ممن ان وجد لامرىء القيس او لزهير او لجرير او الحطيئة او الطرماح او لاعرابى اسدى او ديلمى او تميمى

---

(34) البيان فى تفسير القرآن للخوئى ص 137 .
(35) فى اصول النحو ص 40 .
(36) مدرسة الكوفة ومنهجها فى دراسة اللغة والنحو لمهدى المخزومى ص 347 .
(37) تفسير فخر الدين الرازى ج 3 ص 193 .